المصـــدر : الشرق الاوسط
التـاريخ : 23-10-2007 العـدد : 10556
الصفحات : 15 المسلسل : 65

..«أرامكو» و«ثول».. حينما عانق الماء الماء

أمس الأول وضع الملك عبد الله بن عبد العزيز حجر الأساس للجامعة الكبرى، جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في بلدة «ثول» شمال جدة على البحر الأحمر. هذه الجامعة التي كلف الملك بها قادة شركة «أرامكو»، وعين رئيسا مكلفا لها المهندس نظمي النصر نائب رئيس الشركة، ونائبه احمد الخويطر احد مديري الشركة، ومشرفا على المشروع المهندس علي النعيمي وزير البترول وابن «أرامكو» العتيد.

جامعة ضخمة، في المليارات المخصصة والمساحة الكبيرة، والأهم من هذا في «فلسفتها» ومنحاها الجديد على عالم التعليم العالي في السعودية.

هي «دار حكمة» جديدة، وهو لوصف الذي استخدمه الملك عبد الله ي كلمته الافتتاحية في الحفل الكبير الضيوف «العالميين».

جامعة تتوخى «الإقلاع» العلمي البحثي في بلد هو في الصميم من حركة الاقتصاد العالمي بسبب نفطه وتقوله.

أربعة مراكز بحوث علمية مخصصة تهتم بدراسة الاحتياجات السناعية والاقتصادية والاجتماعية وبيئية وتطوير الصناعات المتقبلية، ستبحث في تحلية وترشيد الماء، والزراعة المناسبة للمناخات الصحراوية والحاسب الآلي والأبحاث الصحية...

وخصص الملك وقفا خاصا ينفق على الجامعة، وهذا الأسلوب العصري يطبق لأول مرة في الجامعات السعودية، على غرار الجامعات الأميركية الكبرى.

قادة الجامعة يتحدثون عن شراكات مع مراكز البحث العلمي الكبرى في العالم. والمهندس علي النعيمي يرأس لجنة لاختيار رئيس الجامعة، بشرط أن يكون مالكا للكفاءة اللازمة في إدارة مركز جامعي من هذا النوع، وليس شرطا أن يكون سعوديا، بل اغلب الظن أن لا يكون، فالفكرة هنا هي الاستفادة ممن يملكون الخبرة، بدون عقد الهوية الضارة.

نحن إزاء ثقافة جديدة في التعليم العالي، تخرج من الدوران في الحلقة المفرغة.

وربما يعود السبب في هذا النهج «الجديد» إلى طريقة التفكير خارج الصندوق، والذي تجلى في الجرأة الحميدة في إسناد مهمة وضع الرؤية والاشتغال على المشروع الكبير، والذي كان حلما راود الملك منذ حوالي ربع قرن، كما قال وزير البترول السعودي، إسناد هذه المهمة إلى أشهر قصة نجاح في السعودية، اعني شركة «أرامكو».

في حفل الافتتاح، قال رئيس الشركة عبد الله جمعة: «سجل أرامكو السعودية سيضيف إلى صفحاته، بفخر واعتزاز كبيرين، شرف تكليفها بتطوير وتأسيس صرح الجامعة».

شركة «أرامكو» التي بدأت امريكية ثم تحولت إلى شركة سعودية تملكها الدولة وتدار بأحدث أسلوب، هي ليست مجرد شركة بترولية والسلام، بل هي جزء من تاريخ البلد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والإعلامي أيضا.

و«أرامكو» التي وقعت عقد الامتياز في عهد الملك عبد العزيز في مايو (ايار) 1933، مرت بمراحل كثيرة، وصارت جزءا أساسيا من قصة التكوين السعودي الحديث، وانعكست عليها متغيرات المنطقة وهبت عليها رياحها، ومن حضنها برز نجوم كثيرون في عالم المال والاقتصاد، منهم من بدأ سائقا او ساعيا أو موظفا بسيطا، بل ان منهم من بدأ أميا لا يقرأ ولا يكتب ثم أصبح من رموز الاقتصاد وصناعة النفط في العالم، مثل الوزير الحالي المهندس علي النعيمي، والملياردير السعودي سليمان العليان.

نحن إزاء ثقافة جديدة في التعليم العالي تخرج من الدوران في الحلقة المفرغة ويعود السبب في هذا النهج «الجديد» إلى طريقة التفكير خارج الصندوق

«أرامكو» «ثقافة» وليست مجرد شركة، وربما كانت بهذا التميز والتأثير بسبب ضخامة العمل وحاجتها إلى خلق بيئة إنتاج وتدريب دائم، فهي ليست تعمل على الهامش، أو تريد الفوز بعقد سريع ثم «هبش» المال والسلام. بل هي شركة تعمل وفق شرط استراتيجي دائم متعلق بصناعة أساسية في العالم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان هناك دور للحكومة السعودية في تشجيع الشركة، بل الضغط عليها من أجل الاستفادة من خبرات وتقدم الإدارة الأمريكية للشركة في نفع السكان ونشر التعليم وإرساء البنية التحتية.

وحسبما يذكر الباحث السعودي عبد الله السبيعي، فإنه ومنذ بدء الشركة بأعمال التنقيب والإنتاج والتصدير، كانت للشركة جوانب عمل أخرى غير مباشرة الصلة بصناعة النفط. فالملك سعود، وحينها كان وليا للعهد، كان دائم الإلحاح والضغط على قيادات الشركة من اجل تعليم موظفيها السعوديين، ومحو الأمية. وتمثل أول جهود «أرامكو»، بمؤازرة من الحكومة، في افتتاح مدرسة الجبل في 1944 (مجلة «الدارة» العدد الثالث).

تأثير «أرامكو» لم يقتصر على المنطقة الشرقية في السعودية، بل امتد إلى دول الجوار الخليجي، وابرز مثال على ذلك تلفزيون «أرامكو»، الذي يعد أقدم تلفزيون في المنطقة مع التلفزيون العراقي. وكان مؤثرا على الشرقية وجوارها من دول الخليج. وكان لمجلة «القافلة» الصادرة عن الشركة دور في الإشعاع الثقافي.

وبما أن الحديث الآن هو عن هذه الجامعة «المستقبلية» فإن الجامعة التي كانت قريبة الصلة بصناعة النفط، وهي جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، التي بدأت كلية للبترول والمعادن أوائل الستينات، كانت هي

المصـــــدر :	الشرق الاوسط		
التـــاريخ :	23-10-2007	العـــدد :	10556
الصفحـات :	15	المسلسل :	65

مشاري الذايدي

mshari@asharqalawsat.com

الجامعة الأرقى والأمثل في كفاءاتها، والأكثر بعدا عن «بيزنطيات» الجدل بين التيارات الفكرية والسياسية في السعودية. لكن هذه الجامعة المشرقة، أنهكت، ولم تكن كافية للحيلولة دون تردي وضع التعليم الجامعي السعودي، والعام الفائت صدرت دراسة تصنف الجامعات السعودية في ذيل القائمة، حينها غضب القائمون على مقاليد التعليم العالي، وقالوا، وأكثروا، إن هذا التصنيف غير علمي ولا مرض، وكثر الجدل، لكن كان الجواب الأمثل هو ما جرى أمس الأول في بلدة «ثول» الساحلية، حيث وضع حجر الأساس لجامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية، فهذا الجواب العملي خير من الدفاع ومباركة الوضع القائم.

لقد شكا أكاديميون من تراجع دور الجامعات في السعودية، وهيمنة الثقافة الوعظية عليها. إلا ما رحم ربك، وأنه آن الأوان للكف عن تجريف الوضع العلمي والثقافي، وإشغاله بالهوامش، فمثلا: لا تكاد تجد جامعة «عامة» في السعودية إلا وفي إحدى كلياتها قسم للثقافة أو الدراسات الإسلامية، مع أن هناك جامعات قائمة متخصصة في العلوم الإسلامية مثل جامعة أم القرى والجامعة الإسلامية وجامعة الإمام.

المشكلة أن التركيز انصرف في اغلب الجامعات إلى قضايا غير ذات جدوى وتم توجيه جهود الباحثين الجامعيين إلى غير قضايا التنمية وتربية النزعة العلمية والنقدية، وحسب دليل موثق أصدره مركز الملك فيصل للدراسات عن الرسائل الجامعية في السعودية فإنه وحتى سنة 1998! فقد بلغ عدد الرسائل الجامعية في السعودية أكثر من عشرة آلاف رسالة ماجستير ودكتوراه وما في مستواهما، تمت إجازتها في جامعات المملكة العربية السعودية. وأغلب الظن أن هذه الرسائل تدور حول قضايا هامشية، إلا القليل منها.

الاعتراض ليس على وجود رسائل جامعية تبحث في الأشاعرة أو المعتزلة أو فقه الحج وتحقيق مخطوطة في أحكام التشبيه بالكفار.. ولكن الاعتراض أن لا نرى مقابلا مساويا - على الأقل - من الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية في قضايا التنمية والعلوم التي يحتاجها الإنسان السعودي.

تلك هي المشكلة الحقيقية، في عالم متغير، ووضع أشار إليه رئيس شركة «أرامكو» عبد الله جمعة في كلمته أمام الملك عبد الله بالقول: «إن هنالك فجوة معرفية عميقة ومحزنة تفصل الشعوب العربية والإسلامية عن ركب الحضارة العالمية المعاصرة وهذه الفجوة تتسع بشكل متسارع ومؤسف».

لذلك تأتي أهمية هذه الجامعة، غير التقليدية، حتى تكون أنموذجا لكيفية إسهام الحكومات في إطلاق الطاقات في مكانها الصحيح، بعدما أهدرت في قضايا هامشية، لكن ضارة، تحث على التفرقة وكراهية الآخر.

الآن، وبعد هذا المشوار الطويل يصل رذاذ الساحل الشرقي المنحني من تلال «أرامكو» إلى الساحل الغربي على مرجان البحر الأحمر، حتى يتعانق الماء مع الماء من اجل الإنسان.. والإنسان، فقط.